

النشاط الثقافي في الوطن العربي

الجمهورية العربية المتحدة

قضايا الفكر العربي الحديث

لمراسل « الاداب » في دمشق



دعت حلقة الدراسات لجمعية الادباء العرب بدمشق الى عقد ندوة للتباحث في قضايا الفكر العربي الجديد . وقد دار النقاش في الاجتماع الاول بين اربعة من اساتذة الجامعة (كلية الاداب والتربية) هم : الدكتور حكمة هاشم ، والدكتور عبدالكريم اليافي والاساتذ حافظ الجمالسي والدكتور ابراهيم كيلاني . وحضر الاجتماع بعض اعضاء حلقة الدراسات . وتولى احدهم طرح الموضوع وكان على الشكل التالي :

« يتساءل المثقفون العرب اليوم بعد الوحدة : ترى ماذا أعد المفكرون في البلاد ، لملء هذا الفراغ الفكري الذي نشعر به ، لتسهيل واقعنا التوري المتعاطم بالحوادث الجبارة التي تخلق للامة كيانها السياسي والقومي ؟ وما ثقافة تعادل في عمقها وشمولها احداث واقعنا السياسي والقومي ؟ »
ثقافة تعادل في عمقها وشمولها احداث واقعنا السياسي والقومي ؟ »
ولقد تتابع النقاش بين الاساتذة في جو من الثقة والتفاؤل . ونحن نحرص هنا على نقل هذه الجلسة الجديدة من نوعها لاهمية الافكسار التي تعرض المتناقشون لها ولما تنطوي عليه من محاولة لايضاح نقطة الانطلاق هذه لتأسيس تفكير عربي قويم .

بعد ان طرح الموضوع تناوله الاساتذ الجمالي قائلا :

– ان حركة التفكير العربي الجديد لا يمكن ان تكون مهياة بشكل مصطنع ، بل هي نتيجة تفاعل حضاري يصل بحركته العفوية الى مستوى الابداع المطلوب . ونحن في ذلك لا نخالف مثلا انطلاقنا الحضاري القديم في القرنين الثالث والرابع الهجري عندما كان مستوى الحضارة قد مكن من ظهور علماء ومفكرين لفتوا انتباه العالم . فلا اظن ان بوسع فئة من المثقفين ان تتفق فيما بينها مثلا لتخطيط هذا التفكير المنشود .



الدكتور هاشم : نريد للفكر العربي شمولية وكونية تثبت انسانيته

الدكتور كيلاني : على الفكر العربي ان يحدد مواقفه من تيارات الثقافة الغربية

وأما المفكرون الذين نصبو اليهم فان ظهورهم على مسرح تاريخنا لا يتوقف علينا ، انه مرتبط بحركة الحضارة العفوية .

وانتقل الحديث الى الدكتور هاشم فقال :

انا لا احب كلمة الفراغ الفكري لانها تذكر بالفراغ السياسي الذي حاول البعض ايهامنا به لاغراض استعمارية معينة ، وافضل كلمة التفاعل الحضاري ، لانها تفي بالمطلوب . انني اتصور هذا التفكير العربي الذي نحن بصددده يجب ان يكون آخذا معطيا من حضارة الانسانية كلها . اي يجب ان يكون فكرا شموليا وانسانيا معا . والسؤال الذي علينا معالجته بالفعل الان هو : كيف سيكون هذا التفاعل الحضاري ؟ وقال الدكتور كيلاني :

انا مع زميلي الدكتور هاشم في نكران وجود فراغ فكري . وعلى العكس فان الفكر العربي سائر في طريقه ، كما انه في طريق التفاعل مع الحضارات التي يتأثر بها في الوقت الحاضر . ولكنني اتمنى ان تحدد الطليعة الفكرية موقفها من قضايا كثيرة عالمية تعترض المفكرين العرب ، وبصورة اذق اقول يجب الا يترك الفكر العربي الان في شبه تفاعل حر يخضع لتيارات معينة دون اخرى . فلا مانع من ان نحدد الطليعة هذه موقفها من قضايا كثيرة اجتماعية فكرية ، او حضارية ، فترسم بذلك الطريق القويم الذي يمكن ان تسلكه الجماهير العربية في الوقت الحاضر .

وقال الدكتور يافي : اعلق على ما سمعت : الموضوع كما اعتقد هو موقف الفكر العربي : الفراغ والتفاعل الحضاري مع الحضارات الاخرى . واني اتجاوز المفهومين واقول بانني متفائل بان الفكر العربي بمظهره المختلفة ذو اصالة واضحة ، فلا ينبغي ان نقف عند حدود التجريبات بل علينا ان نتميز مجاله في السياسة والادب والانذفاعات القومية الكبرى . ان الظاهرة التي تبرز الان في واقعنا العام تتميز بالتمرد ، التمرد على كل شيء ، التمرد على الاطر القديمة في حياة الشعب العربي ، وعلى الصيغ الاجنبية المعاصرة . فهناك اذن خصائص يمتاز بها الفكر

النشاط الثقافي في الوطن العربي

ولذلك لا بد لنا من الدقة في تلمس خصائص الفكر العربي وما يحتاجه من الغرب وما عليه ان يتحاشاه .

الدكتور كيلاني : اعود الى الفكرة التي طرحها الاستاذ الجمالي . فهل يجب ان يكون دور المفكرين العرب قائما على المساهمة في تكوين المجتمع العربي وخلفه . ام انه يقتصر على ان يصوروا مظاهره ويعبروا عنه .. افول الفكرتان متشابهتان فاذا كان لا بد من خلق تيارات فان المفكرين هم الذين يعكسونها على المجتمع . فالفكر العربي لا يعاني في الحقيقة فراغا ، بل ازمة خلقتها التيارات المختلفة . والعالم اليوم يعاني من التغيرات والتطورات المتازمة ما يوجب على الفكر العربي ان يحدد موقفه من تياراته الاجتماعية ام اقتصادية .. هناك نظم عالمية قائمة لا يمكن للفكر العربي ان يقف منها محايدا .. فهو لا بد له من ان يلجأ الى اسلوب انتخابي اصطفائي يناسب العقيدة العربية وروح النهضة الحديثة ، يستفيد منها في سيره النضالي ... ان الازمة هي ازمة ابداع . فلا مانع ان يأخذ العرب من الغرب ما يناسب رسالتهم التاريخية . اعود فاقول ماذا يجب على الفكر العربي ان يفعله تجاه القيم التصاعديّة .

الدكتور هاشم : نحن متفقون على ضرورة اتخاذ موقف واضح للفكر العربي وأود ان ألع على انه لا ينبغي ان تذكر الصيغ الحضارية وتلحق بصفة معينة ، كان نقول الفكر الاوروبي منهار او غير ذلك . ان الفكر العربي يجب ان يشارك في جميع التيارات ، فلا يقف موقف المعادي من كل فكر في الغرب تبعا للمدء السياسي . فالشمولية والكونية هي الصفة التي يجب ان يمتاز بها الفكر العربي .

الاستاذ الجمالي : ان كلام الدكتور هاشم صحيح . ولكننا ما زلنا مع ذلك امام نفس الموقف ونفس السؤال فهل يمكن ان ندعو الى ان يلتزم الفكر كما يلتزم الاديب ، ام ان المشكلة تتوقف على مجموعة الشروط الحضارية والاجتماعية التي تدفع الى ظهور فكر معين ومفكرين .. انا احب ان يكون المفكرون جديين يرتفعون الى مستوى الحضارة التي



الدكتور الياباني : طابع الفكر العربي اليوم هو التمرد وتلك هي بطولته واصالته



الاستاذ الجمالي : ان الفعالية الحضارية هي التي تخلق المفكرين والفكر العربي بعفويتها الطبيعية ودون تهيئة سابقة

العربي ، كما تمتاز بها فعاليتنا السياسية . ولقد بلغ هذا التمرد درجات رائعة من البطولة . ونحن اذا لاحظنا الطابع العام للفكر العربي وجدنا ان موقفه يقوم على التفاؤل البناء في حين نلقى الكتب الاوروبية مشوبة بروح انحلال واضحة . فالفكر العربي هو في صعود وانطلاق ، ولا اجد فيه ما يعرب عن التشاؤم .. الا بعض ما يصدر عن المتأثرين بالحضارات الاجنبية . بينما نستطيع ان نحدد وضعنا الفكري الحاضر باننا على اهة بناء وخلق ... ولو تركنا السياسة الى الادب فاني رغم اعجابي بالادب القديم الا انني احب الحديثين مع انهم متأثرون بتيارات الادب الاوروبي . انني اجد ادباءنا الحديثين مبتكرين مجددين . وعلى هذا فانا متفائل بتمرد الفكر العربي الحديث والمستفيد من غيره ، ضمن موقفه البطولي الرائع . وتحدث الجمالي : اظن ان المشكلة بدأت تتضح ، فليس الموضوع هو البحث عن اصالة الفكر العربي . ان الحديث ينبغي ان يدور حول ما يستطيع ان يقدمه المفكرون من مؤازرة للنهضة العربية الحديثة . فالادب متعلق بالحياة الاجتماعية في جميع مظاهرها من عمق او سطحية ونفاهة . والسؤال هو هل نستطيع ان نفرض على المفكرين والادباء تآزرا وتعاوننا مع حركة النهضة العامة يفضيان الى نموها والتعبير عنها في الوقت ذاته .

وقال الدكتور هاشم : هل نغني نحن بتمرد الفكر العربي انه ثورة على جميع القيم التي انت بها الحضارة الغربية او انه تمرد على شكل من اشكال هذه الحضارة ؟

وأجاب الدكتور يافي : ما زلت عند كلامي عن اهمية دور النقل والتأثر البعيد .. ان اكثر النظريات الاجتماعية والادبية التي وجدت في اوربا انما مردها الى النظم الاقتصادية السائدة . فينبغي لنا ان نوضح مواطن الضعف في النظريات الاوروبية البورجوازية . ان هذا الضعف يظهر خاصة تلقاء النظريات الاشتراكية . والفرق بين الاتجاهين البورجوازي

والاشتراكي يتجاوز الادب وعلم الاجتماع الى علم الحياة (البيولوجيا) .

النشاط الثقافي في الوطن العربي

مختلفين في الكتابة عند هذين الجيلين : فالجيل الصاعد ان يكتب بأعصابه ، وقلبه ، ويحيا مع مشاكل اليوم ، ويتحمس لا يتمخص به المجتمع ... ولكنه - وبلا لاسف - لا يأخذ عقله بالتفكير والتهديب كما يأخذ قلبه بالحماسة . فهو يحسن مرة ، ومرة ثم يقف عند الحد الذي وصل اليه ، لانه يبدأ يكرر نفسه ، ويعيد صوره ، وسيظل يفعل ذلك ما دام لا يعترف من مآهل الثقافة مثل ما يعترف من مآهل المجتمع الحي ، لان عاله ، في هذه الحالة ، سرعان ما يتقلص او يتكلس .

بينما نحن - الجيل الهابط - كنا نكتب بعقولنا وحدها ، بدراستنا ، ومطالعتنا ، ولذلك بتنا بعيدين عن تيارات المجتمع ، غرباء عن مشاكله ...

فاجبته :

- ذاك حق ... لان الكتابة كانت ، آنذاك ، تتمثل في هذا الضرب من الثقافة والتفكير « السماوي » ! وقد عشنا ادبيا في الجيل الذي تصدرت فيه المدارس الفنية ، وغلبت على كل شيء ... والنظرات تتبدل ، والحاجات تتبدل . وتاريخ الادب يحفظ هذه التبدلات ، كما تحفظ الارض طبقاتها ! وماذا ندري عن خصائص الادب الاتي ؟

- لقد كان شوقي وحافظ يستيجبان في شعرهما لكل حادثة من حوادث عصرهما ، فاخذ عليهما الناقدون فيما اخذوه « ان شعرهم شعر مناسبات ، ومثل هذا الشعر يطوى مع المناسبة التي يجيء معها ... »

يعيشونها وأن يهبوا انفسهم لها . واما ان تفرض على المثقفين منذ الان واجبات معينة او دعوة ما فانا ارى ان ذلك يتجاوز طاقة كل مثقف في الوقت الحاضر .

دكتور يافي : قد نستمر طويلا ما دمنا نخوض في التجريدات . علينا ان نمارس الواقع ونصّب فعالياتنا ضمن جذور الواقع هذا . فتميز بين التيارات العالية حتى يتضح موقفنا .

وعند هذا انتهى الوقت المحدد للندوة في تلك الجلسة التمهيدية ، وانفق على متابعة الحديث في جلسة قادمة حول موضوع ما يجب على الفكر العربي ان يأخذه عن التيارات العالية وما عليه ان يهمله .

مع الدكتور ... زكي نجيب محمود !

بقلم خليل هندواي

كان المحاضر ، هذه المرة ، في موسم المحاضرات الذي تعده دار الكتب الوطنية بحلب الدكتور زكي نجيب محمود :

ونزل الدكتور مدينة الشهباء ، حين كانت الشهباء غارقة في احتفالات زيارة الرئيس جمال عبد الناصر . لذلك ضاع صدى نزول الدكتور على المدينة في تلك الاصداء البعيدة . ومن الحق ان يكون يوم زيارة الدكتور عيدا . عيدا للادب الذي يمثل الدكتور بنضجه وذوقه وسلامه تعبيره ، وعيدا للفلسفة التي يحمل الدكتور صولجانها ، ايام لم يكن للفلسفة عندنا صولجان . ومن ذا ينكر ما قدمه الدكتور من اثار خصبة ، ودراسات فلسفية غصت بها مجلة الرسالة يوم كانت هذه المجلة رائد الادب الصحيح والثقافة العميقة . ثم مجلة الثقافة ، ثم دور النشر الكبرى التي تتولى اليوم نشر ترجماته ودراساته .

أقبلت على النزول للقاء الضيف ، وانا على ثقة بانني لن استقبل ضيفا غريبا ، وانا استقبل اخا حبيبا ، تزامننا على صفحات مجلة واحدة ، وتراقفنا في موضوعات واحدة . دون ان اراه ، ودون ان يراني .

لقد كان السلام موجزا ، كان سلام اصدقاء لم يطل فراقهم ، نسّم

ابتدرني سائلا :

- لا ازال اذكر كلمتك الرقيقة في مجلة الرسالة .. !

وحقا ، لقد نسيت تلك الكلمة ، ان لم انس تقدير الشخص الذي قلت فيه كلمتي ...

وابتدرته سائلا :

- ما حال الادب الان في مصر ؟

اجاب :

- كما تعهد ... الا تجد الجواب الشافي في تلك المجلات الدسمة التي توارت ؟ كالرسالة ، والثقافة ، والمقتطف ، والكتاب ؟ لقد فكرنا ان نعبد اصدار مجلة الثقافة ، ولكن الخوف غلب علينا ... هل تستطيع الثقافة الاصيلية ، الصافية ان تزاحم هذه المجلات الفانيات ، الفانات ؟

سألته :

- الى اي شيء تعزو ذلك؟ وهل هذه «الفتنة» هي كل شيء في الموضوع فاجاب الدكتور ، وكان صريحا في اجابته ، مصيبا قلب الحقيقة :

- لنعترف بان ، هنا ، جيلين : الجيل الصاعد وهو جيل الشباب . والجيل « النازل » او « الهابط » كما يدعوننا ... ولنفرق بين اسلوبين

طبعة
محمّقة
ممتازة

معجم البلدان

موسوعة جغرافية تاريخية أدبية

٢٠ جزءاً - ثمن الجزء ٤ ليرات لبنانية

الناشر
دار بيروت
دار صادر

النشاط الثقافي في الوطن العربي

« في أي عصر من عصور التاريخ نجد أن التفكير في كل عصر منها على تعقده وكثرة عناصره ، إنما تدور رحاه حول قطب رئيسي أو أقطاب قليلة العدد - العصر الواحد تسوده أفكار رئيسية قليلة العدد جدا ... يظل الناس يبدئون فيها ويعيدون - حتى إذا ما دامت هذه الأفكار الرئيسية بضمرة قرون وحلت محلها أفكار رئيسية كان ذلك أيدانا بعهد فكري جديد .

الفلاسفة يتناولون أو يؤثرون الأفكار الرئيسية - ... خذ عصر اليونان مثلا نجد مشكلة الكبرى هي الأخلاق ... فكرة الخير أو الفضيلة .

ثم ظهرت المسيحية والإسلام - أصبحت للعصر أفكار أمهات - فلبثت الفلسفة أكثر من عشرة قرون - هنا وهناك - تدور حول هذه المدركات الرئيسية تحليلا وتوضيحا ، شرحا وتعليلا ... الناس يتبادلون الفكر على عجل - والفلسفة تتمهل وتتردى لتشرح للناس فكرهم .

ذهب العصر الوسيط - ونهضت أوروبا إلى عصر جديد ... فرخالة وعلماء يتظلمون وراء مناظيرهم - « الطبيعة وأسرارها » تلك هي إنشودة أوروبا في عصر نهضتها « خروج الإنسان عن حدود نفسه إلى هذا الكون الفسيح - ولكن أين يقع الإنسان في هذا كله ؟ ... ها هنا جاءت المهمة الأولى للفلسفة الحديثة - وهي أن توضح كيف يتاح للإنسان أن يدرك ما يدركه عن العالم المحيط به » .

بدأ عهد جديد من تعاون العلم والفلسفة في الفترة الواقعة بين القرن

وكان اليوم ، أن عاد الأدب إلى « المناسبات » يستوحيا ... والا ... فما هو هذا الأدب ! وما هو هذا الشعر ؟

ونرى الدكتور طه حسين يتأثر بالجو الفني العالي ، فيقدم 1922 على تعريف كتاب « النفس والرقص » لبول فاليري ... ولكنه بدأ فصلا أو فصلا ولم يكمل ... ونحن لا ندري لماذا فعل ؟ ولماذا وقف ؟ ولكن نعتقد بأنه كان يود أن يفني المكتبة العربية ، أو الفكر العربي « بهذه النظرات الفنية الواسعة » التي يفنق بها الأدب العربي . ولعله لم يجد صدق لهذا النقل ، فأهمله .. ومثل هذا اللون « الفني » هو غذاء ذاتي ، أو حلوى فاخرة لا يأكلها إلا صفة مختارة . وليست من الأطلعمة الفردية الشاملة ... ولكن هذا لا يمنع أن يأخذ بهذا اللون بعض الأدباء ، ليعملوا على تطوير الأسلوب ، وتنمية الذوق الفني .

ثم كررت عليه هذا السؤال :

وما هو الحل للمشكلة ... الحل للقاء الجيل الصاعد بالجيل الهابط ؟

وطبعا ضحكنا لهذه النكتة ، لأننا ، على حد قوله « نمثل الجيل الهابط » فأجابني :

- خير حل هو الحل الوسط ، هو الحل الذي يلتقي عنده الصاعد بالهابط .. هو دور « بندول » الساعة حين يقف بين اليمين والشمال ، ليخلق جيلا وسطا ، يحترم عقله ، ولا يهمل قوت العقل والثقافة ، ويولي قلبه ، ويستجيب لأعصابه ، حتى يعيش المشكلة التي ينصب عليها .

وسألته :

- انني اعرفك يا دكتور ذا نشاط فلسفي يتمثل في دراساتك الحديثة وترجماتك الكثيرة . وقد عرفت ان لك نشاطا في مجلس الآداب والفنون . فأجابني :

- انني مع لجنة الشعر .. ومثلك لا يستغرب ان يشترك في الشعر من عمل للفلسفة ... ولكنني من مستهلكي الشعر ، لا من منتجي ، ونحن الآن في الطريق إلى احياء دورة شعرية في القاهرة ، يتمثل فيها الشعراء العرب . وقد انتهينا من طبع المجموعة الأولى التي كسان المشتركين فيها قلة ... ولذلك لن تكون ممثلة لآلوان الشعر العربي كله ... وما نشرنا الا ما ورد علينا ... وخشينا ان نتصرف بانفسنا ... فتركنا الامر للواقع ...

وسألته :

- ومن يرأس هذه اللجنة ؟

فقال :

- الاستاذ عباس محمود العقاد ، وله شعر منشور كما تعرف . وقد ترجمت له مقاطع كثيرة إلى الإنجليزية ... والعقاد - عندي - يمثل الشخص الأول الذي يطالع كثيرا ، ويتمثل ما يطالع بقوة ، ويكون لنفسه رأيا حصيفا فيما يطالع ... والعقاد شخصية قوية - في تفكيرها وتعبيرها ومنطقها - لا يرقى إليها الكثير من أدباء اليوم .

وجاء - هنا - دور المحاضرة التي تناولت الحديث عن « اتجاهات الفلاسفة المعاصرة » :

بعد مقدمة « تحليلية » برر بها دراسة الفلسفة باعتبارها (أبراز الجانب المضمحل في أحاديثنا لمرضه أمام الإبصار صراحة وعلائية) تسائل المحاضر:

دار الآداب تقدم :

في أزمة الثقافة المصرية

بقلم الناقد المجدد

رجاء النقاش

دراسات عميقة شاملة عن قضايا الثقافة المصرية

الحديثة ومشاكلها

صدر حديثا

النشاط الثقافي في الوطن العربي

ثباتا ، وحركة لا سكونا . وبذلك اتجهت الفلسفة ، في احدى نواحيها ، نحو العلم ، بحيث تجعل « الوجود الحقيقي لهؤلاء الافراد الذين يتعاورهم التغير والتقلب » وهذه هي الوجودية في مذاهب الفلسفة المعاصرة ، ومؤداها ان نعترف « بالوجود الحقيقي للفرد الجزئي المحسوس » لا للفكرة المجردة .

هكذا فعلت نظرية التطور في علم الحياة ، ونظرية الذرة في علم الطبيعة ، فعلمها في التفكير الفلسفي ، ثم تأتي الى جوارها نظرية الاشعور في علم النفس ، التي مؤداها « ان حقيقة الانسان ليست في عقله الواعي بمقدار ما هي في دوافعه المندسة ، خفاياها التي لا يكون على وعي بها .. ان حقيقة الانسان انما تكون في حالة الاحلام كما تكون في حالة الصحو .. ومن هنا تغيرت - الى حد كبير - وجهة النظر الى الشعر والى التصوير وغيرهما من الفنون . « اذ اصبحت القطعة الفنية كائنة ما كانت ، لفظا او نغما ، ولونا ، تقاس - لا بمطابقتها للواقع - بل باخراجها الى باطن ...

ومهما ذهبت اليه الفلسفة الحديثة فهي تتفق كلها على اساس واحدة ، اهمها ان الحقيقة متغيرة ، متحولة ، نشيطة فاعلة .. فالمنهج البراجماتي هو في حقيقته تطبيق نظرية التطور في المجال الفلسفي . والتجريبية العلمية والواقعية الجديدة هما شعبتان من الفلسفة تعكسان نظرية الذرة . والوجودية اتجهت نابع من صميمه من اللغة الجديدة لعلم النفس .

ولو جاز لي ان اخص هذه الاتجاهات الفلسفية كلها في عبارة واحدة لقلت انها جميعا صور مختلفة لمعنى واحد ، هو الحرية .. فاذا كانت الطبيعة المادية نفسها قد سال جامدها - في ضوء النظرية الذرية - واذا كانت الفواصل الحادة بين انواع الكائنات الحية قد ذابت حدها - في ضوء النظرية التطورية - واذا كان الانسان قد كشف له علم النفس التحليلي عن كوامن نفسه فاخرجها على حقيقتها ادبا وفنا .. اذا كانت فروع العلم قد تآزرت كلها على بيان ما في الكون باسره من نشاط وحركة وضرورة وتغير وتطور فهل تكون الفلسفة التي تساير هذه العلوم الا توكيدا للحرية باوسع معانيها ؟ حرية الذرة ، حرية النبتة الصغيرة والحشرة الضعيفة في ان تكيف نفسها ، وحرية الانسان فردا وجماعة في ان يعبر عن رغباته ودوافعه ..

ومن هنا يجب علينا - نحن المشتغلين بالفكر والفلسفة - ان ننظر في نفوس شبابنا وعقولهم هذه الاتجاهات كلها .. ليزدادوا ايمانا بالتغير ، والتطور والسعي في سبيل الحرية .

خليل الهنداوي

من الاصدقاء

رسائل اخوان الصفاء

وخلان الوفاء

الناشر : دار بيروت ودار صادر

بعونه تعالى تم طبع هذا الكتاب النفيس وهو يقع في ١٢ جزءا
ثمن الجزء الواحد ٢٥٠ قرشا لبنانيا

فارجاء من حضرات المشتركين ان يبادروا الى استكمال مجموعاتهم
حيث سيصبح ثمن الجزء ابتداء من اول شهر تموز القادم

٣٠٠ قرش لبناني

السادس عشر الى اواخر القرن الماضي .

وجاءت المائة سنة الاخيرة من منتصف القرن التاسع عشر الى منتصف القرن العشرين ، وفيها من نتائج العلم ما اثبت بجذوره في جوانب الفكر كلها . ومعها نظرية التطور في علم الحياة ، ونظرية الذرة في علم الطبيعة ، ونظرية الاشعور في علم النفس .

اما نظرية التطور في علم الحياة : فقد اذابت الفواصل التي تميز الانواع الحيوانية بعضها عن بعض . وجعلت هذه الكائنات حلقات من سلسلة ، كل حلقة منها تؤدي الى الحلقة التي تليها . وبهذا تداخلت الانواع القديمة بعضها في بعض . وهكذا لم تعد حقيقة الكائنات الحية شيئا ثابتا جامدا ذا حدود وفواصل ، بل هي متطورة متغيرة بحسب قانون صلاحية البقاء .

واذا كانت صلاحية البقاء وحدها هي المقياس في علم الحياة ، فهي وحدها كذلك مقياس الحق . فالحق هو اي شيء يمكن ترجمته في الحياة العملية سعادة وخيرا للبشر اجمعين . وهذا هو لب الفلسفة البرجماتية المعاصرة .. انه لم يعد معنى لقولنا ان هنالك حقيقة خارجة عن الانسان وحياته ، وان واجب الفلسفة هو البحث عنها . بل الحقيقة هي نفسها ما يخدم صالح الانسان ..

ولئن كانت نظرية التطور في علم الحياة عاملا من العوامل التي قضت على « السكونية » ، فقد جاءت نظرية الذرة ، فأكملت هذا الاتجاه . والقول بالذرة قديم قدم اليونان . لكن اصحاب مذهب الذرة كانوا يعتقدون ان تلك الذرات الصغيرة هي اجسام صلبة ، محددة الاشكال ، ثابتة الصفات ، متميز بعضها من بعض . ثم جاءت النظرية الذرية الحديثة في علم الطبيعة ، تذيب هذه الذرات الصلبة ، وتجعلها وحدات من طاقة بعد ان كانت وحدات من جماد .. والذرة الواحدة شحنة كهربائية !

وما مغزى ذلك بالنسبة لينا ؟ مفزاه ان حقائق الطبيعة اصبحت احتمالية ، يقينية . نسبية لا مطلقة . ان الطبيعة لم تعد شيئا مصمتا ساكنا ، ثابتا ، نستخرج له قوانينه الثابتة المطلقة ، بل اصبحت حركة دائبة ، ونشاطا متصلا ، وتغيرا لا يثبت على حال .

واذا كان ذلك صحيحا بالنسبة للطبيعة ، فماذا نقول في الانسان ؟ يمكن ان يكون في وضع من اوضاعه الفردية او الاجتماعية ثابتا ثبات الابد ساكنا سكوت الموت والعدم ؟ كلا ، بل الفرد الواحد ، والمجتمع كله يستحيل عليه الجمود والركود . وليس هنالك من الحقائق الا هؤلاء الافراد وهذه الجماعات في حيوتها وتغيرها .. لم يعد باستطاعتنا ان نقول : ان للانسان حقيقة ثابتة ، وان للمجتمع حقيقة ثابتة ..

وان الانسان الفرد او المجتمع ، اذا اراد لنفسه كمالا فليقترب ما استطاع من تلك المثل الثابتة بل كان الانسان - ايام اليونان الاقدمين - لم يكن له وجود في هذا الواقع المحسوس ، وانما هو حقيقة عقلية مجردة .. ولما كانت العبرة عندهم هي بالحقائق العقلية المجردة الثابتة ، فقد كان الافراد لا قيمة لهم ، بل ليس لهم وجود حقيقي . وقد استغلت بعض النظريات السياسية في القرن التاسع عشر ، وفي القرن العشرين هذه الفلسفة المثالية ، فجعلت فكرة الدولة هي الحقيقة المثلى ، واما الافراد فلا شيء ..

جاء العلم الذري فغير من صورة الحقيقة الموضوعية ، فجعلها تغيرا لا